مكانة المرأة في الإسلام

ومعه صراع الدعاة مع المنافقين

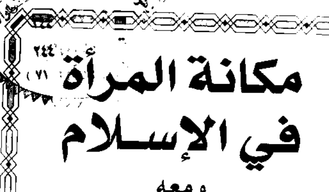
الشيخ
علي القرنى

أولاد الشيخ
مكتبة أولاد الشيخ للتراث

21
م



مركز المرأة للدراسات والا...
٢٤٤
(٧١)



مكانة المرأة في الإسلام

ومعه

صراع الدعاة مع المنافقين

لفضيلة الشيخ

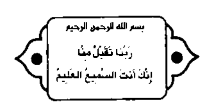
علي عبد الخالق القرني

اهتم به وأخرجه

هندي صابر قاسم

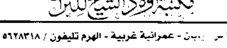


الهرم / ٥٦٢٨٣١٨ فيصل / ٧٤١٠٧٠٤
محمول / ٠١٠/٥١١٢٤٤٦



حقوق الطبع محفوظة

القرني ، علي عبد الخالق
كتاب / مكانة المرأة في الإسلام - معه صراع الدعاة مع المنافقين
لعلي عبد الخالق القرني
اهتم به وخرجه ،هندي صابر قاسم - ط١ - ٢٠٠٦
الجيزة / مكتبة أولاد الشيخ للتراث ٢٤x١٧
٦٤ص ، ١٧سم
تدمك 6 - 136 - 371 - 977
رقم الإيداع ، ٢٠٠٦/٢٤٣٨٧ ديوى ٢١٠/٤
١ - المرأة في الإسلام
ا - قاسم ، هندي صابر (إخراج)



[illegible] - عمرانية غربية - الهرم تليفون / ٥٦٢٨٣١٨
٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية - فيصل / ٧٤١٠٧٠٤
محمول / ٠١٠/٥١١٢٤٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى اللهم لك الحمد ملء السماوات والأرض فكل الحمد لك اللهم لك الشكر ملء السماوات والأرض فكل الشكر لك نحمدك على نعمة الإسلام والإيمان والقرآن ونحمدك على أن هديتنا للإسلام وجعلتنا من أمة خير الأنام صلوات الله وسلامه عليه .

نشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك - صلى الله عليه وعلى آله - وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسأل الله - عز وجل - أن يجعل هذه الدقائق في ميزان الحسنات في يوم تعز فيه الحسنات في يوم الحسرات وأن يجعل من تسبب في ذلك بشيء قليل أو كثير يجعل هذه في ميزانه وأن يجعلها له من الباقيات الصالحات هو ولي ذلك والقادر عليه .

أيتها الأخوات المؤمنات إدارة ومعلمات وطالبات ومنسوبات أوصيكن ونفسي بتقوى الله - عز وجل - وأن نقدم لأنفسنا

أعمال تبيض وجوهنا يوم أن نلقى الله ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩-١٠] يوم تبلى السرائر وتتكشف الضمائر يوم الحاقة والطامة والقارعة والزلزلة والصاخة ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]

أيتها الأخوات من أنتن لولا الإسلام والإيمان والقرآن؟ أنتن بالإسلام وبالإيمان والقرآن شيء وبدونها والله لا شيء، ولعلكنّ تُعرنني أسماعكنّ قليلا، لتعرفن تلك النعمة التي أنتنّ تعشْنَها في هذه الأيام، يوم تسمعن لحال المرأة في عصور الجاهلية، وأنتنّ تتبوأن نعمة الهداية .كيف كانت المرأة؟ كانت سلعة تُباع وتُشترى، يُتشاءم منها وتُزدرى، تُباع كالبهيمة والمتاع، تُكْرَه على الزواج والبغاء، تُورث ولا تَرث، تُملَك ولا تَملِك، للزوج حق التصرف في مالها - إن ملكت مالها - بدون

إذنها، بل لقد اُختلِفَ فيها في بعض الجاهليات، هل هي إنسان ذو نفس وروح كالرجل أم لا؟ ويقرر أحد المجامع الروسية أنها حيوان نَجِس يجب عليه الخدمة فحسب، فهي ككلب عَقُور، تُمنَع من الضَّحك - أيضا - ؛ لأنها أحبولة شيطان. وتتعدد الجاهليات، والنهاية والنتيجة واحدة .جاهلية تبيح للوالد بيع ابنته، بل له حق قتلها ووأدها في مهدها، ثم لا قصاص ولا قَصاص فيمن قتلها ولا دِيَة، إن بُشِّر بها ظلَّ وجهه مسودًا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّر به، أيُمْسِكَه على هونٍ، أم يدسّه في التراب .

وعند اليهود إذا حاضت تكون نجسة، تنجس البيت، وكل ما تَمسّه من طعام أو إنسان أو حيوان، وبعضهم يطردها من بيته؛ لأنها نجسة، فإذا تطهَّرت عادت لبيتها، وكان بعضهم ينصب لها خيمة عند بابه، ويضع أمامها خبزا وماء كالدابة، ويجعلها فيها حتى تطهر .

وعند الهنود الوثنيين عُبَّاد البقر يجب على كل زوجة يموت زوجها أن يُحرق جسدها حية على جسد زوجها المحروق .

وعند بعض النصارى أن المرأة ينبوع المعاصي، وأصل السيئات، وهي للرجل باب من أبواب جهنم، هذا كله قبل بعثة محمد ﷺ .

فهل أتاكنَّ أيتها المؤمنات المسلمات القانتات، بل هل أتاكنَّ يا بنات حواء في هذا العالم كله أنباء ما جاء به نبي الرحمة والهدى محمد ﷺ من التعاليم في حقِّكن فحمدتنَّ الله على ما تبوأتنَّ به من هذه النعمة .بعد تلك المهانة والذلَّة، يأتي رسول الله ﷺ ليرفع مكانة المرأة، ليُعلي شأنها، فإذا به ﷺ يبايع النساء بيعة مستقلة عن الرجال، وإذا بالآيات تتنزل، وإذا المرأة فيها إلى جانب الرجل تكلَّف كما يُكلَّف الرجل إلا فيما اختصت به ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خلقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحدةٍ وخلق منْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَساءلُونَ به والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عليْكُمْ رَقيبًا ﴾[النساء : ١] ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقبَائل لتعَارَفُوا إنَّ أَكْرمكُم عندَ اللَّه أَتْقَاكُمْ ﴾[الأحزاب : ١٣] ﴿ واللَّهُ جعل لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا وجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجكُم بَنينَ وحَفَدَةً ﴾[النحل : ٧٢]

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] صفات صالحة في الرجال، ما ذكرها الله إلا وذكر في جانبها النساء، والصالحة كذلك ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النور : ٢٦] ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة : ٣٨] ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ [النور : ٢] وإذا برسول الله ﷺ بعد مدة ليست باليسيرة يقول" : «إنما النساء شقائق الرجال»[1] وإذا به ﷺ بعدها يقول في خطبته الشهيرة : «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عَوَان»[2] يعني أسيرات، ثم يقول ﷺ رافعًا شأن المرأة، وشأن من اهتم بالمرأة على ضوابط الشرع : «خياركم خياركم لنسائهم، خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[3] صلوات الله وسلامه عليه .يأتيه ابن عاصم المنقريّ؛ ليحدثه عن ضحاياه، وعن جهله المُطْبِق، ضحاياه المؤودات فيقول : لقد وأدت يا رسول الله اثنتي عشرة منهن، فيقول ﷺ : «من لا يَرحم لا يُرحم»[4] ، من

---

١ - أخرجه أبو داود بنحوه (٢٣٦) والترمذي (١١٣) .
٢ - أخرجه البخاري (١٣٥٣) ومسلم (١٤٦٨) .
٣ - أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجة (١٩٧٧) .
٤ - أخرجه مسلم (٢٣١٨) .

كانت له أنثى فلم يَئدْها، ولم يُهِنْها، ولم يؤثر ولده عليها، أدخله الله - عز وجل وتعالى - بها الجنة . ثم يقول صلوات الله وسلامه عليه : «من عَالَ جاريتَين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضمَّ بين أصابعه - صلوات الله وسلامه عليه -»[1] ثم يقول ﷺ : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم لا يفتر، أو كالصائم لا يفطر »[2] أو كما قال ﷺ : أمٌّ مكرَّمة مع الأب، أُمرْنا بحسن القول لهما ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ وحسن الرعاية ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ وحسن الاستماع إليهما والخطاب ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] وحسن الدعاء لهما ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] أمٌّ مكرَّمة مقدَّمة على الأبِّ في البرِّ . « من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: أمك، قال : ثم من؟ قال : أمك، قال : ثم من؟ قال : أمك، قال: ثم من؟ قال : أبوك »[3]

---

١ - أخرجه مسلم (٢٦٣١) .

٢ - أخرجه البخاري (٥٠٣٨) ومسلم (٢٩٨٢) .

٣ - أخرجه البخاري (٥٦٢٦) ومسلم (٢٥٤٨) .

يأتي (جاهمة) إلى رسول الله ﷺ يريد الجهاد في سبيل الله من (اليمن)، قد قطع الوهَاد والوِجَاد حتى وصل إلى رسول الله ﷺ وقال :أردت يا رسول الله أن أغزو وجئت لأستشيرك، فقال ﷺ : «هل لك من أم؟ قال : نعم، قال : الْزمها؛ فإن الجنة عند رجليها »[1] أو كما قال ﷺ بل أوصى ﷺ بالأم وإن كانت غير مسلمة . فها هي (أسماء) تقول : «قدمت أمي عليَّ، وهي ما زالت مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت :قدمت أمي وهي راغبة أفأصِلُها؟ قال : نعم ﷺ صلي أمك»[2] .

ليس هذا فحسب، بل أنزل الله فيكِ سورة كاملة باسم سورة النساء، وخصَّك بأحكام خاصة، وكرَّمك، وطهَّرك، واصطفاك، ورفع منزلتك، ووعظك، وذكَّرك، وجعلك راعية ومسؤولة، وأرجو من الله - عز وجل - أن تكوني كذلك، فالأمل - والله - فيكن - أيتها المؤمنات المتعلمات - كبير، والمسئولية - والله - عليكن عظيمة وجسيمة .راعيات في المدارس، راعيات في البيوت، فلتكنَّ قدوات، قدوات في

١ - أخرجه أحمد في مسنده (١٥٥٧٧) .
٢ - أخرجه البخاري (٢٦٢٠) ومسلم (١٠٠٣) وغيرهما .

المظاهر، وقدوات في المخابر، قدوات في القول، وفي العمل، وفي كل أموركن: فإن النبي ﷺ الذي رفع شأنكن بهذا الدين يقول : «وما من راعٍ استرعاه الله رعية فضيَّعهم، أو بات غاشًا لهم إلا حرَّم الله عليه رائحة الجنة»[1] . منذ بزوغ فجر الرسالة - يا أيتها المسلمة - والمرأة مُكرَّمة معزَّزة تقوم بدورها إلى جانب الرجل تؤازره، تشد من عزمه، تقوي همَّته، تناصره، تحفظه إن غاب، تسرُّه إذا حضر إليها، ثم تنال بعد ذلك نصيبها في شرف الدعوة إلى الله - عز وجل - وتنال نصيبها من الإيذاء في سبيل الله . فها هي (سمية)، ما سمية؟! سمية أول شهيدة في الإسلام، وهاهو ابنها وزوجها يُعذَّبون، يُلبسون أذرع الحديد، ثم يُصهرون في الشمس. في رمضاء(مكة)، وما أدراكم ما تلك الرمضاء؟! ثم يمرُّ ﷺ وهم يُعذَّبون (الأبطح)، وهو في بداية دعوته لا يملك لنفسه شيئًا بل لا يملك ما يدفع به عنهم وعنها، فيقول: «اصبروا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»[2] وذات يوم بالعشي يأتي (أبو جهل) إلى (سمية)، فيسبها، ويشتمها، ويتكلم بكل

---

١ بهذا اللفظ عند الترمذي (١٧٠٥) وهو عند البخاري بمعناه (٣٢٦٨ ومسلم (١٨٤٢) .

٢ أخرجه أحمد بنحوه (٤٣٩)

كلمة وَقِحَة ومهينة، وهي ثابتة بإيمانها، راسخة بيقينها، لا تلتفت إلى وقاحته، ولا تنظر إلى سفالته، وإنما رنت عينها مباشرة إلى جنَان ذاكية، وإلى منازل ذاكية، في دار النعيم والرِّضوان والتكريم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها، نظرت إلى هناك ولم ترد عليه ليتقدم - أخزاه الله - إلى تلك العجوز الضعيفة الكبيرة فيطعنها بالحربة في موطن عفّتها، لم يرحم ضعفها ولا عَجْزَهَا لتسقط؛ فتكون أول شهيدة في الإسلام، ثم يموت زوجها بعد ذلك بالعذاب فيحتسبها، ثم يحتسبه أبناء هذا الرجل، ويشاء الله أن يعيش ابنها (عمار) حتى يرى قاتل أمه يوم (بدر) مجدلاً على الأرض، ورسول الله ﷺ يقول له : «قتل الله قاتل أمك يا عمار، قتل الله قاتل أمك يا عمار»[1] .

[جاهلية المتأخرين]

أخواتي المؤمنات؛ ونَعِمَت المرأة في ظل الإسلام قرونًا، ولا زالت تنعم بذلك حتى جاءت جاهلية هذا القرن والذي قبله، فوأدت المرأة وأدًا معنويًا، أمثل خطرًا من وأد الجاهلية. فإن الموءودة في الجنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

أما موءودة هذا القرن فهي التي وأدت نفسها، وباعت عفَّتها، وأهدرت حياءها، لا تجد الجنة، ولا تجد ريحها، كاسية عارية، مائلة مُميلة، لا تجد عرف الجنة، وإن ريح الجنة ليوجد من مسافة كذا وكذا، أصغت بأذنها إلى الدعاة على أبواب جهنم، فقذفوها في جهنم، فشقيت وخسرت دنياها وأخراها، فهي تعض أصابع الندم هنا ويوم القيامة، نسأل الله - عز وجل - أن يتجاوز عنَّا، وعن العاصيات من أمة محمد ﷺ يا أمَةَ الله تجيء جاهلية هذا القرن في صور متعددة؛ في صورة المشفق عليك، الضاحك ظاهرًا، وهو يريد قتلك باطنًا.

إذا رأيت نيُوبَ اللَّيث بارزةً

فلا تظنَّين أن اللَّيث يبتسمُ

جاءت هذه الجاهلية في صورة المشفق عن طريق مجلة، أو عن طريق صفحة جريدة، أو أغنية فاجرة، أو مسلسلة، أو تمثيلية، أو جهاز استقبال، يريدون منكِ أن تكوني عاهرة، سافرة، فاجرة، يريدون أن تكوني بهيمة في مِسْلاخ بشر. حاشاك يا ابنة الإسلام، ويا حفيدة (سمية) و (أسماء).

[كبرت كلمة تخرج من أفواههم]

اسمعي لقائلهم سمع الكبار يوم يقول وهو أحد الكفار الذي يتربص بك وبأخواتك وبالمؤمنين الدوائر يقول :لا تستقيم حالة الشرق الإسلامي لنا حتى يُرفع الحجاب عن وجه المرأة، ويُغطَّى به القرآن، وحتى تؤتى الفواحش والمنكرات . وخاب وخَسِر .

ويقول الآخر : مزِّقيه مزِّقيه بلا ريث، فقد كان حارسًا كذابًا - يخاطب بذلك الحجاب - .

ويقول الآخر : إلى متى تحملين هذه الخيمة؟ .

ويقول الآخر : ينبغي أن تبحثي عن قائد يقودك إلى المدرسة والكليَّة .

ويقول الآخر : لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا، ونخلِّصها من قيود الدين .خاب وخسر .

ويقول الآخر : إن الحجاب خاص بزوجات رسول الله ﷺ .

فأين تنطلي مثل هذه الأمور؟ وأين هذا من القرآن؟ إنه لم يعرف القرآن، ولو عرف القرآن لقرأ قول الله في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ويقول أحدهم وهو (قاسم أمين) من الذين تأثروا بالغرب يقول : إن الحجاب ضرر على المرأة؛ فهو معرقل لحياتها اليومية يضرب بالآيات عرض الحائط، ويحكِّم عقله، وينظر إلى الغرب الهائم . فعامله الله - عز وجل - بما يستحق .

وآخر يقول : كأس وغانية تفعلان في الأمة المحمدية مالا يفعله ألف مدفع؛ فأغرقوهم في الشهوات والملذَّات .

كيف جاءت هذه الأمور؟ إنها لم تأتنا إلا من أعداء الإسلام، على طريقة من؟ اعلى طريقة الذين ربُّوا على أفكار أولئك .

[الزعيم المزعوم عميل]

يخرج (سعد زغلول) منفيًا مُرتبًا له من مصر إلى بريطانيا أيام الاحتلال، ليعود من هناك وهو بطل وزعيم وطني قومي، وقد رُتِّب له الأمر، فإذا بسرادق النساء في استقباله، وإذا

بزوجته (صفية زغلول) انتسبت إليه، ولا تنسب إلى أبيها على طريقة الغربيات الكابرات -تأتي معه على ظهر الباخرة، وتصل إلى هناك، ولمَّا وصلت إلى هناك، وجاءوا لاستقباله إذا الأمر مرتب، ينزل وينطلق مباشرة إلى سرادق النساء، إلى سرادق الحريم المحجبات فتقوم (هدى شعراوي) -عاملها الله بما يستحق - تقوم إليه محجبة، فينطلق إليها ليمد يده - وقد مدَّ اليهودي قبل ذلك يده فدفع ثمن ذلك نفسه - يمد يده إلى حجابها ويرفع ذلك، وهي تضحك وتصفِّق، ويضحك ويصفِّق، ثم يصفِّق النساء ليُعْلِنَّ الرَّذيلة من ذلك اليوم، وليبدأنَ في تقليد الكافرات، هذا هو عمله، فماذا فعلت؟ التي قامت بالدور بعد ذلك (هدى) و (صفيَّة) انطلقا في مظاهرة ظاهرها وهدفها مناوأة الاحتلال الإنجليزي، وانطلقا إلى ميدان الإسماعيلية، ليقفا في ذلك الميدان محجبات سود كالغربان، كما أمر النبي ﷺ ولكن لحاجة في نفسهن، رمين الحجاب ودُسْنَهُ بالأقدام، ثم أحرقْنَه في تلك الساحات، ليُعلِنَّ التمرد على القيم والأخلاق الإسلامية، فماذا كان بعد ذلك؟ لحصل في مصر ما حصل، حصل فيها أن بدأ التغريب هناك على يد هؤلاء، وبين أيادي المؤمنات، وعلى مرأى المسلمين والمسلمات .

ماذا حصل؟! انطلقوا مباشرة، فإذا بالرجل ينطلق إلى جنب المرأة مباشرة، وإذا به يعمل معها، وإذا بها يخالطها في المدرسة تلميذاً ومعلِّماً فيما بعد، وإذا بالأمور تنفرط، ليس هناك مانع فتدب العدوى إلى بلاد عربية ، حتى يكاد لا يَسلَم من ذلك بلد إلا من رحم الله، وقليل ما هم . وإذا بنا نئن ونشكو من اختلاط ، من رذيلة توأد، ومن طهر وعفاف يوأد، وإذا الفساد ينتشر، وإذا الداعية يطيح هنا وهناك، فإذا الآذان صُمَّت، واتجهت تقلِّد الغرب حتى في لباسها ، قامت تقلدهم في الموضة والأزياء ،جاءت هذه الصرعات فاستنفذت البيوت واستنفذت ميزانيات الأسر ،حتى إنك لترى التي بلغت الخامسة عشر لا زال لباسها من فوق ركبتها ، وتقول : لازلت صغيرة. فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وما - والله - ذكرت من هؤلاء سواءً (هدى) أو (قاسم) أو (زغلول) أو غيرهم من الدعاة هنا وهناك إلا نماذج للدعاة على أبواب جهنم الذين ألقوا بحجابهم، وداسوه بالأقدام إنما يتَحَدَّوْن مشاعر المسلمين، والذين يكتبون لتحرير المرأة، والذين وقفوا بذلك الميدان وسموه ميدان التحرير إنما هو التحرر من الفضيلة والخُلُق والطُّهر ولاشك، يكتبون،

والله يكتب ما يُبيِّتون هم وأذنابهم إلى يوم يبعثون ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

[قدوة في هؤلاء]

أختي المؤمنة؛ هل لهؤلاء ومن على أدرابهم من الكُتَّاب والراقصات والعاهرات أهلٌ لأن يَكُنَّ قدوة للصالحات المؤمنات القانتات الصابرات الخاشعات؟ نعوذ بالله من الانتكاس ، ونسأل الله الثبات حتى الممات . أنت الطهر ، وأنت الفضيلة ، وأنت السُّمُوُّ ، والطهر لا يقتدي بالرِّجس والمهين ، والفضيلة لا تقتدي بالرذيلة ، والسمو لا يقتدي بالسُّفْل . خابوا وخسروا وتعسوا وانتكسوا .

أغيظيهم وقولي بلسان حالك ومقالك :

دعهم يعضوا على صُمِّ الحَصَى كمداً

من مات من غيظه منهم له كفن

إن آمالنا في المسلمة المتعلِّمة والمعلِّمة أن تكون أقوى من التحدِّيات، آمالنا في المسلمة في كل مكان وآمالنا في المسلمة في هذه الجزيرة أن تكون أقوى من التحديات، تعتز بدينها، تتمسك بعقيدتها ومبادئها وأخلاقها، بل وتدعو إليها؛ فذلك من دينها .

[نماذج للصالحات]

هاهو رسول الله ﷺ يخبر ليلة الإسراء أنه كما قال : «فلما كانت الليلة التي أُسْرِيَ بي أتت عليَّ رائحة طيِّبة ، فقلت : ما هذا الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها»[1] أتدرون ما خبر هذه المرأة؟ وما خبر هذه الماشطة؟ اسمعنَ إليها؛ فلعل فيها ما يثبِّت المرأة أمام شهواتها، وأمام رغباتها، والترغيب والترهيب عمومًا .هذه كانت تمشط بنت فرعون، ذات يوم من الأيام، وبينما هي تمشِّط بنت فرعون، وهو الذي يقول :أنا ربكم الأعلى - وإذا بالمدْرَى يسقط من يديها - المشط أو المفْرَق التي تفرق به الشعر يسقط من يديها - ويوم سقط من يديها

١ - أخرجه أحمد (٢٨٢٢) .

قالت : باسم الله، وقد كانت تخفي إيمانها قبل ذلك - فقالت بنت فرعون : أبي؟ قالت : باسم الله ربي، ورب أبيك، وربك رب العالمين جميعًا، فقالت : إذاً أخبره بذلك، قالت : افعلي، فذهبت وأخبرت أباها، فجاء في تكبُّره وتجبُّره، ووقف عندها، وقال : أو إنَّ لك ربًا غيري؟ أو إن لك ربًا غيري؟ قالت :ربي وربك ورب الجميع رب العالمين سبحانه وبحمده، فاغتاظ، وقال :أما أنت بمنتهية؟ قالت : لا، فقال : إذًا أعذب أو أقتل قالت : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه : ٧٢] فانطلق يعذِّبها، أوتد يديها ورجليها، وصنف عليها أنواع العذاب، فكانت تمزج حلاوة إيمانها بمرارة العذاب، فتطفو حلاوة الإيمان على مرارة العذاب، فتشتاق وتقول : إنما هي ساعات، وإلى جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر . يرسل عليها العقارب لتلسعها علَّه أن يصل إلى قلبها، ثم يقول : أما أنت بمنتهية؟ فتقول : ربي وربك الله رب العالمين، فيعود ليرسل عليها الحيَّات لتنهشها، ثم يقول :أما أنت بمنتهية؟ فتقول : ربي وربك الله رب العالمين، ينوِّع عليها العذاب، ويصنف عليها ذلك، وهي راسخة بإيمانها وعقيدتها، قد علمت إنما هي سويعات، ثم تعود إلى الله - عز وجل - فماذا حصل؟ قال : إذاً أقتلك

وأحرقك بالنَّار، قالت ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه - ٧٢] فأمر ببقرة من نحاس. قيل إنه قدر على صورة بقرة، وقيل :إنها بقرة أُذيبت، ثم جيء بها وبأولادها ليقفوا على طرف هذه النار، يقف على طرف هذه النار، ثم يأخذ واحداً من أولادها، وقبل أن يأخذه قالت : لي إليك حاجة، قال : وما هي؟ قالت : أن تجمع عظامي مع عظام أولادي، ثم تدفننا في ثوب واحد، قال : ذلك لك علينا من الحق ، ثم رمى الولد الأول فوقفت ، فوقف أخوه الثاني وقال : اصبري يا أماه، فإن لك عند الله كذا وكذا إن صبرت، ثم رمى بالثاني، فقال الثالث : اصبري يا أماه؛ فإن لك عند الله كذا وكذا إن صبرت . ويرمي بهم واحداً بعد الآخر، وهي تقول : ربي وربك الله رب العالمين لم يبقَ سوى طفل على ثديها رضيع لم ينطق بعد في شهوره الأولى، فما كان منها إلا أن ترددت أن تلقي بنفسها مع أولادها من أجل هذا الرضيع، ويشاء الله، فيطلق الثدي وينطقه الله الذي تعبده؛ ربها ورب كل شيء، فيقول :يا أماه اقتحمي: لَعذابُ الدنيا أهونُ من عذاب الآخرة، فتقتحم مع طفلها لتلقى الله - عز وجل- راسخة ثابتة بإيمانها؛ فعليها رحمة الله ورضوانه .

[آسيا نموذج آخر]

لم يقف الأمر عند ذلك، بل كانت (آسيا بنت مزاحم) زوج فرعون، والتي ربت موسى - صلوات الله وسلامه عليه - والتي قالت ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص : ٩] كانت تراقب الموقف وهي مؤمنة، ولم تعلن إيمانها بعد؛ خوفًا من أن يفتنها عن دينها، ولما رأت من الماشطة ما رأت، فقوي في قلبها إيمانها، وتعلقت بربها؛ رب العالمين . فجاء إليها ليخبرها متبجحًا وقد علمت ما حصل، فقال : فعلت بالماشطة كذا وكذا، فقالت : الويل لك، ما أجرأك على الله !الويل لك ما أجرأك على الله !الويل لك، ما أجرأك على الله !قال :لقد اعتراك جنون الماشطة، قالت :بل آمَنْتُ بالله ربي ورب الماشطة، وربك رب العالمين . آمنت بالله رب العالمين، فذهب إلى والدتها، وقال : لأذيقنَّها ما ذاقته الماشطة أو لترجع، فجاءت أمها - برحمتها وشفقتها عليها - تعرض عليها أن تتنازل عن دينها - وهي إنما تتنازل عن الجنة التي عرضها السماوات والأرض - فماذا كان منها؟ قالت :يا أماه أما أن أكفر بالله،

فوالله لا أكفر بالله، عندها بدأ في التعذيب، أوتد يديها ورجليها، وعرَّضها لأشعة الشمس، ووكَّل من يعذبها يصنف عليها أنواع العذاب ويقول : أما أنت بمنتهية؟ فتقول : لن أنتهي حتى ألقى الله؟ أو كما قالت -فيأتي بعد ذلك، ويقول: لأرمينك بكذا وكذا من الصخور يهدِّد قالت : لا أرجع عن ذلك أبدًا، فماذا يحصل بعد ذلك؟ كان الذين يعذبونها في حرارة الشمس ينصرفون عنها ويذهبون بعيدًا عنها فإذا ذهبوا، نزلت الملائكة لتظلَّها بأجنحتها، ثم يرجع إليها ويعرض عليها مرة أخرى، فترفض فيرمي بالصخرة عليها لتلقى الله - عز وجل - ثابتة بإيمانها .هذا خبر من قبلنا من الأمم .

[وأم المؤمنين خديجة]

فما خبر من بعد البعثة؟ إن الخبر ليستلزم أن نقف عند . خديجة - رضي الله عنها - تلك المؤمنة صاحبة الثراء، وصاحبة الجاه، وصاحبة المال، التي تزوجت رسول الله ﷺ وكانت أول مؤمنة به، وآزرته في محنته، وثبَّتته يوم خاف، ويوم عاصرت نزول القرآن من أول لحظاته، كانت أول مثبت

للنبي ﷺ، وهي التي جاء النبي ﷺ منها الولد، وكان يذكر ذلك لها بعد موتها، رضي الله عنها، وصلى الله عليه وسلم . جاء إليها يومًا من الأيام، وهي تبكي بعد موت ابنها (القاسم) فيقول : ما بك؟ قالت : دَرَّت لُبَينَة القاسم، فكان بودِّي لو عاش حتى يستكمل رضاعته، فقال ﷺ : إن له في الجنة مرضعًا تستكمل له رضاعته، فهان عليها ما كان، ثم قامت معه حتى أنزل عليه الوحي، وجاء إليها يرتعش خائفًا مرتعدًا؛ لما رأى جبريل وهو يقول له : اقرأ، وهو يقول لها : زملوني ، دثِّروني، فيقول لها : والله يا خديجة لقد خشيت على نفسي، قالت : «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتحمل الكلَّ، وتُقْرِي الضَّيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[1] . وقفت معه ﷺ فقاسمته شدَّته ومحنته، وما تراجعت عن ذلك مع أنها صاحبة الجاه، وصاحبة السؤدد، وصاحبة المال، فزادت ذلك سؤددًا ومالاً وجاهًا يوم ارتقت لأن أفقد ولدي خير لي من أن أفقد حيائي وديني، إن الله خاطب رسوله فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ

---

١ - أخرجه البخاري (٣) ومسلم (٢٥٢) .

وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ووالله ما أنا بخير منهن .

فتخلقي بأخلاق أهل الإسلام، وارجعي إلى سِيَر هؤلاء الأعلام . وادعي إلى الله - عز وجل - فإنك مسؤولة عن علمك، ماذا عملت به أيتها المؤمنة فما عسى يكون الجواب؟ المرأة المسلمة على ثغرة عظيمة .

فاللهَ اللهَ أن تؤتى البيوت من قِبَلك . واللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قِبَلك .واللهَ اللهَ أن يؤتى أبناء المسلمين من قبلك. هاهي مَثَل لك؛ لأن الخير يستمر في الأمة إلى قيام الساعة والأمثلة كثيرة في هذا العصر والذي قبله .

[بنان الطنطاوي نموذج في الزمن]

هاهي (بنان الطنطاوي) ابنة الشيخ الوقور (على الطنطاوي) غفر الله لنا وله، وتجاوز عنها وعنه؛ زوجة (عصام العطار) علمت مسؤولية الزوجة في البيت، وآمنت بربها، ودعت بما تستطيع، وهيأت لذلك الداعية أن يدعو إلى الله - عز وجل - انطلق يرد الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الغواية إلى الهدى والهداية، فأغاظ ذلك

المنافقين، والذين يَشْرَقُونَ بالنور، والذين ما يعيشون إلا في الظلام، فما كان منهم إلا أن سجنوه في سجن من السجون، فأرسلت إليه رسالة، فما فحوى هذه الرسالة يا أيتها الداعية، يا أيتها المعلِّمة، يا أيتها المتعلِّمة؟ اسمعي إلى هذه الرسالة ماذا تقول لزوجها وهو في سجنه؟ تقول له :لا تحزن ولا تفكِّر فيَّ، ولا في أهلك، ولا في مالك، ولا في ولدك، ولكن فكِّر في دينك وواجبك ودعوتك؛ فإننا - والله - لا نطلب منك شيئًا يخصُّنا، وإنما نطلبك في الموقف السليم الكريم الذي يبيِّض وجهك، ويرضي ربك الكريم، يوم تقف بين يديه حيثما كنت، وأينما كنت، أما نحن فالله معنا، ويكتب لنا الخير، وهو أعلم وأدرى سبحانه وأحكم .

انظر إلى هذه الكلمات، كيف وقفت معه وهو بعيد عنها، وقفت معه لأنها تعلم أنها على ثغرة وأنَّ ثغرةً ذهبت فسدَّت تلك الثغرة، ثم يشاء الله أن يخرج من ذلك السجن ليُشرَّد في ديار الغرب، وما أُخرج وما نُقِم منه إلا أن قال : ربي الله، واعتز بدينه ومبادئه، شُرِّد في بلاد الغرب ، ويبتليه الله -عز وجل - هناك أيضًا ليرفع درجته بإذن الله - عز وجل -، ويوم ابتلاه الله - عز وجل - هناك بكونه يعيش بين الكفار، وكونه مشردًا

عن أهله وغيرهم، يُبتلى بالشلل، يُشلُّ في ديار الغرب، لا أهل، ولا صاحب، ولا صديق، لكن له الله الذي أُخْرِج من أجله، وله الله الذي سُجِنَ من أجله، وله الله الذي دعا من أجله . فماذا فعلت هذه الزوجة؟ بعيدة عنه، بعيدة بجسمها لكن قلبها معه، وروحها معه، هدفها وهدفه واحد؛ وهو نشر دين الله، ولقاء الله، والتعامل مع الله - عز وجل - .

كتبت إليه رسالة هناك وقالت : لا تحزن يا (عصام) ولا تأس، يرفع الله من يبتليه، إن عجزت عن السير سرت بأقدامنا، وإن عجزت عن الكتابة كتبت بأيدينا، والله معك، الله الله معك ولن يَتِرَك، ولن يضيع لك ما أنت فيه .ثم تنطلق بعد ذلك لتلحق به في ديار الغرب إلى هناك، لا لتجلس بجانبه تندب حظَّها، ولا لتجلس بجانبه وتقول :جنَت الدعوة عليه، لا ، وإنما لتجلس بجانبه هناك، لتأخذ أفكاره، وتأخذ علمه، فيكتب هو بيدها، ويسير بقدمها، فتنشئ مركزًا إسلاميًا في ديار الكفر، فلا إله إلا الله . كم من تائبة تابت على يديها هناك، وكم من ضالة كافرةٍ لا تعرف شيئًا إلا الحياة البهيمية ردها الله على يد .

[موتها محتسبة]

(بنان الطنطاوي) هناك مع زوجها تستشيره ليعطيها المعلومات، فتنطلق ويأبى أولئك الذين يَشْرَقُون بهذا الدين أن يروا للخير قولة أو جولة، ويأتي ثلاثة رجال يبحثون عن ذلك المشلول في تلك البلاد، وما وجدوه إلا أن دلُّوا على شقته، فجاءوا فاقتحموها، وتقدموا على هذه الداعية المسكينة - امرأة في بيت غربة، وبعيدة، لكن معها الله الذي قدمت نفسها له - فإذا بها يُطلق عليها خمس رصاصات؛ في العنق، وفي الكتف، وفي الإبط، لتسقط مُدَرَّجة بدمائها . أسأل الله أن يجعلها من أهل الفردوس الأعلى . أسأل الله أن يكتب لها ولمن بعدها من أهلها النعيم المقيم السرمدي الأبدي الذي لا يزول وأسأل الله أن يوقظ في بنات المسلمين ومعلمات ومتعلمات المسلمين نماذج مثل تلك النماذج، وأعْظَمَ من تلك النماذج .

[وجاء دورك يا أختاه]

إن الأمة تنتظر منك الكثير والكثير .اعلمي أخيرًا أن طريق الجنة صعب، وأنه محفوف بالمكاره، لكن آخره السعادة

الدائمة؛ أخبر بذلك من؟ أخبر به النبي ﷺ في الحديث الذي رواه. مسلم يوم يقول" : إن الله - عز وجل - لما خلق الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر ما أعددت لعبادي الصالحين فيها، فذهب؛ فإذا فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فرجع إلى ربه، وقال : يا رب وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، «لما فيها من النعيم، ثم حفَّها الله بالمكاره، بما تكره النفس من التكاليف؛ من الأوامر ، من النواهي ، من الضوابط الشرعية التي يتنقل الإنسان بينها وفيها، حفَّها بهذا كله . ثم قال : ارجع فانظر إليها، فنظر إليها، فإذا هي حفَّت بكل ما تكرهه النفس، فماذا قال؟ رجع إلى ربه، وقال : وعزتك وجلالك قد خشيت ألا يدخلها أحد»[1] .النفس يا أيها الأحبة ، والله لا يدخلها إلا من زكَّى نفسه .

اسمعوا إلى الله وهو يقسم، يُقسم مرات بعد مرات، يقسم بالضحى، وله أن يقسم بما شاء ﴿ وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى : ١-٢] ثم يقول هناك ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣

---

١ أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠) .

اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ١-٨] ثم الجواب يأتيك بعد هذه الأقسام المتعددة المغلظة العظيمة من الرب العظيم يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[الشمس : ٩] فوالله لن يفلح إلا من زكّى نفسه بالإيمان بالله، والدعوة إلى الله - عز وجل - .

وطريق النار سهل، ولكنه محفوف بالشهوات ، وآخره الشقاء الأبدي السرمدي الذي لا يزول - لمَّا خلق الله النار - في نفس الحديث السابق - قال لجبريل : اذهب فانظر إليها، فذهب إليها، فإذا هي سوداء مظلمة، يحطم بعضها بعضًا، ترمي بشرر كالقصر، كأنه جِمَالت صُفْر، فرجع إلى ربه وقال : وعزتك وجلالك ما يسمع بها أحد فيدخلها، ثم حفَّها الله بالشهوات، وبكل ما تشتهيه النفس، وبكل ما ترتاح له النفس، وبكل ما تهواه النفس، ثم قال : ارجع فانظر إليها، فرجع فنظر إليها، فإذا هي قد حفت بكل ما تشتهيه النفس، فرجع إلى ربه وقال : لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها .

إن التعامل مع الله عظيم، وإن المتعامل مع الله لا يخيبه الله رجلاً كان أو امرأة، فيا أيتها المؤمنة انوالخير، واعملي

الخير، فوالله لن تزالي بخير ما نويت الخير، وما عملت الخير .

اسمعي لقول النبي ﷺ : «من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همَّ بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له سيئة واحدة»[١] . فضلا من الله ومِنَّة .

فيا ويل ويا ويل ويا ثبور من غلبت آحاده عشراته .حسنة واحدة، أو سيئة واحدة تغلب عشرات الحسنات .يا ويل من كان حاله على ذلك .فانتبهن وتقربن إلى الله – عز وجل – بما يرضى الله . تقربن إليه بالفرائض؛ فإن أحب ما يتقرب به إلى الله الفرائض، ثم تقربن بالنوافل؛ فإنه لا تزال المرأة تتقرب، والرجل يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله «فإذا أحببته – كما قال – : كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[٢] .

---

١ بنحوه عند البخاري (٤٢) ومسلم (٢٠٦) .

٢ أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وقد انفرد به .

فالهمَّة الهمة؛ فإنها طريق إلى القمة .أسرعي ولا تنظري إلى الخلف، لا تنظري إلى أي عائق، واعلمي أن شبراً بذراع، وأن ذراعاً بباع، وأن مشياً بهرولة .فضلا من الله ومنَّة .اصبري، وجدِّي، ولا تسأمي، ولا تملي بالنصح، بالدعوة، بالقيام، بما أوجب الله عليك، فلا تنظري إلى لوم لائم، ولا إلى عتاب عاتب، ولا إلى هوى نفس أو شيطان .وإذا اجتمعت عليك هذه كلها، فانظري إلى منازل زاكية في جنان ورضوان .أدنى أهل الجنة فيها من يأتي بعد ما دخل أهل الجنة، فيقول الله له : ادخل الجنة، فيقول : يا رب وقد أخذ الناس منازلهم وسكنوا مساكنهم - يخيَّل إليه أنها ملأى -فيقول الله : ألا ترضى أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا؟ قال : بلى رضيت يا رب، قال :فإن لك مثله ومثله ومثله ومثله، وفي الخامسة يقول :رضيت يا رب رضيت . فيقول : ولك عشرة أمثاله، وما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك وأذ ت فيها .

قولي خيراً، وادعي خيراً، وتكلمي خيراً أو اصمتي؛ فكم كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان، وإن المرء ليقول الكلمة من سخط الله يكتب الله - عز وجل - لها بها سخطه إلى أن يلقاه.

أخيرًا: توبي إلى الله، واستغفري الله؛ فإن الشيطان قد قطع على نفسه عهدًا، فقال :وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، والله يقطع العهد على نفسه؟ ورغمت أنف إبليس -وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني.

فاللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفارًا، أرسل السماء علينا مدرارًا، وأقرَّ أعيننا بصلاح المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات .اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا أن تجعلنا من الصالحين، وأولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن تجعلنا ممن باع نفسه لله، فجعل همَّه الله والدار الآخرة .

أسأل الله أن يرينا من بنات المسلمين، وأمهات المسلمين، وأخوات المسلمين ما تقَرُّ به الأعين، صالحات، قانتات، تائبات، عابدات .أسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، من كان سببًا في هذا الاجتماع، ومن ساهم فيه بأي مساهمة صَغُرَت أو كَبُرَت أن تجعل له ذلك في ميزان الحسنات عظيمًا عظيمًا؛ فأنت أهل التقوى، وأهل المغفرة .وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

فضيلة الشيخ / علي عبد الخالق القرني

صراع الدعاة مع المنافقين

لفضيلة الشيخ

علي عبد الخالق القرني

اهتم به وأخرجه

هندي صابر قاسم



الهرم / ٥٦٢٨٣١٨ فيصل / ٧٤١٠٧٠٤

محمول / ٠١٠/٥١١٢٤٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة]

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨]

ها هو ﷺ يقارب الأربعين من عمره ذاهب إلى الغار ما يمر بشجر ولا حجر إلا سلم عليه ﷺ ويأتيه جبريل بالوحي فيعود فزعاً خائفاً إلى زوجه خديجة - رضي الله عنها وأرضاها - يقول زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع وأخبر خديجة بالأمر وقال قد خشيت والله على نفسي قالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ذهبت به إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وقد قرأ الكتب السابقة فأخبرته الخبر فقال : هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جزع أكب فيها وأضع إذ يخرجك قومك قال أوَمُخرجِيَّ هم؟ قال : نعم ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي والآن

أرى خلل الرماد وميض جمر
وأخشى أن يكون لها ضرام

[ولا يزال النفاق]

أقول هذا في وقت لا نزال نسمع عن كثير ممن قل حظهم من مراقبة الله وخشيته والخوف منه ونسوا حظاً مما ذكروا به لا تحلوا لهم مجالسهم ولا يقربون في حديثهم ولا ينبسطون في جلساتهم حتى يتناولوا أعراض عباد الله القائمين بأمر الله من علماء الأمة ودعاة الملة ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الذين جردوا سواعدهم لرفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذين بذلوا أوقاتهم وأنفسهم لله - عز وجل - في وقت خرست فيه الألسن قالوا وقد سكت الناس ونطقوا وقد خرست الألسن وجاهدوا في وقت ركن فيه كثير من الناس إلى الدعة والسكون وأخلدوا إلى الحياة الدنيا وملذاتها وتسابقوا إلى الوظائف والمناصب ومع ذلك فقد قام هؤلاء المخلصون بأمر الله لا يبتغون إلا رفعة وإعلاء كلمة الله ودحر الباطل وأهله من أعداء الله

تجد هؤلاء الفسقة بل كثير منهم يسارع إلى تناول أعراض الدعاة وتتبع عوراتهم والتلذذ بالحديث عنهم في المجالس يلمز هذا ويتكلم في عرض هذا ويردد ما أشيع عن هذا لم تتورع ألسنة بعض هؤلاء من اختلاق الأكاذيب وإلصاق التهم بهم وترديد بعض الأباطيل التي تلصق بهم والتي هي والله من اختلاق أعداء الإسلام وخصومه الذين تتقطع قلوبهم غيظاً وهم يرون راية الدعوة إلى الله ترفع في هذه البلاد لأن هؤلاء المحتسبين من الدعاة والعلماء يُقضُّون مضاجعهم ويفسدون عليهم ملذاتهم وسكرهم وعربدتهم وفجورهم ودعوتهم إلى منكرهم ولهذا فإن كثيراً من هؤلاء يلفق التهم والأكاذيب ليرميهم بها فيتلقفها خفاف الأحلام والسذج من الناس ويطيرون بها فرحاً يبلغون بها الآفاق

أقلوا عليهم لا أبًا لأبيكم من اللوم

أو سدوا المكان الذي سدوا

لكن لا ضير ولا ريب هذه هي سمة الدعوة إلى الله – عز وجل – أوذي ﷺ قيل عنه بأنه ساحر وقيل عنه بأنه كاهن وقيل

عنه بأنه مجنون و رمي في عرضه ﷺ ورغم ذلك أتم الله النور وأكمل الدين رغم أنف الكفار والمشركين والمنافقين .

خرجت هذه الفئة خرجت فئة المنافقين يوم عز الإسلام تدعي الإسلام وهي منه براء تريد ضرب الإسلام ودعاته فاتخذت النفاق طريقاً وياله من طريق موحش مظلم مبتور إنه مرض عضال ومقت ووبال من تلبس به فقد أغضب الله الواحد القهار واسكن نفسه الدرك الأسفل من النار لا إله إلا الله ماذا فعل المنافقون والمغرضون والحاقدون بالإسلام ودعاته في الماضي والآن؟ لا إله إلا الله كم كادوا لرسول الأنام ﷺ هم في كل عصر يعيشون يعشعشون ويبيضون ويفرخون.

[أفعال المنافقين]

همهم إطفاء كل نور يدعي له المسلمون تهاونوا بنظر الله تعالى وعملوا من المنكر أعمالاً في المنكرات والصد عن سبيل الله ينشطون وعن الصالحات والدعوة في سبيل الله يتباعدون ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة ١٠] ﴿ يُرَآؤُونَ النَّاسَ

ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ [النساء : ١٤٢] يستهزئون بأهل الاستقامة والصلاح ومن دعوتهم إلى الله يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون فالله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ما يريدون أن يتكلم داعية ما يريدون أن يأمر بمعروف ولا ينهى بناهية لا يريدون علماً ولا دعوة ولا أن تقام ولو محاضرة لا إله إلا الله .

ما أخزى وأنذل حالهم إن سألتهم عن آيات الله البيانات ما عرفوا إلا المغنين والممثلين والراقصات أحيائهم وأمواتهم يدّعون الإيمان وما هم بمؤمنين هم في كل عصر هم في كل عصر يعيشون يرمون بالتهم يرمون بالأكاذيب دعاة الإسلام رموا نبي الله موسى قبل نبينا - عليهم الصلاة والسلام - بالزنا فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ورموا رسول الله ﷺ في عرضه وهم أصحاب الإفك في عهد المصطفى ﷺ وهم هم في كل زمان ومكان بهذا الدور يقومون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيوجدون فقاتلهم الله أنى يؤفكون .

[الإفـك نموذجـا]

لنقف قليلاً مع حديث الإفك لنأخذ منه الدروس والعبر إن في ذلك لذكرى لمن له قلب فاسمعوا لعائشة المبرئة من فوق سبع سماوات - رضى الله عنها وأرضاها - صاحبة المعاناة في حديث الإفك يوم تقول : رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ولما دنونا من المدينة نزلنا منزلاً فبتنا فيه بعض الليل ثم أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالرحيل قالت : فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش لأقضي حاجتي وفى عنقي عقد لي فلما قضيت شأني انسلَّ من عنقي ولا أـري ثم أقبلت إلى رحلي وتلمست صدري فلم أجد العقد وقد أخذ الناس في الرحيل قالت : فرجعت أتلمس عقدي فحبسني طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه و هم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً فلم يستنكروا خفة الهودج قالت فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش جئت منازلهم فإذا هي بلقع ليس بها داعٍ ولا مجيب جلست في مكاني متلففة بحجابي أسبح الله واستغفر الله قالت :

فأخذني النوم وإذا برجل من أهل بدر من الذين اطلع عليهم فقال « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[1] هو (صفوان بن المعطل) رضي الله عنه هذا المجاهد الذي يقول عن نفسه بعد أن رمي بالفاحشة : والذي نفسي بيدي ما كشفت خمار أنثى لا تحل لي في جاهلية ولا إسلام أتى إلى مكان عائشة فرآها وعرف أنها زوج المصطفى ﷺ لأنه يعرفها قبل الحجاب قالت عائشة : والذي نفسي بيده ما كلمني كلمة ولا سلم عليّ حتى السلام وإنما سمعته يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون زوج المصطفى ﷺ ثم أناخ بعيره فقمت وركبت بعيره فأخذ زمام البعير يمشي به ولا يلتفت ولا يتكلم وإنما تقول عائشة: كنت أسمعه يسبح الله وأتى بها في الظهيرة وهي على بعيره فأما الذين في قلوبهم إيمان فاطمأنوا إلى موعود الله وهم في كل زمان يطمئنون لذلك وأما الذين في قلوبهم زغل وحقد وغشش على الإسلام وعلى رسول الإسلام وعلى دعاة الإسلام فأخذوها فرصة لا تتعوض قام كبيرهم الذي علمهم الخبث (ابن أبي) قام بين المنافقين يقول لهم : لماذا تأخرت؟

---

١ - أخرجه البخاري (٢٨٤٥) ومسلم (٢٤٩٤) وغيرهما .

لماذا أتت مع هذا الأجنبي؟ لما ركبت على بعيره؟ لما تركها رسول الهدى ﷺ ؟ ورسول الله ﷺ لم يسمع بهذا الكلام هو واثق من زوجه أنها أطهر من حمام الحرم وأنقى من ماء الغمام قريشية من قرشيات

حــور حرائــر مــا هممن بريبــة
كظبــاء مكــة صيــدهــن حــرام
متحجبـات فــي الخــدور أوانس
ويصدهن عــن الخنــى الإســلام

انطلق الجيش إلى المدينة ولا زال المنافقون يشهرون ويلصقون هذه التهمة برسول الله ﷺ وبفراشه الطاهر فلما وصل ﷺ إلى المدينة سمع الخبر وأتاه النبأ العظيم ضرب في صميم قلبه ضرب في قواعد دعوته ضرب في صميم رسالته الخالدة أصيب في شرفه وفي بيته ومروءته فلما أتاه الخبر عن طريق رجل من المسلمين أتاه وقال: يا رسول الله إن المنافقين يقولون كذا وكذا فدمعت عيناه ﷺ وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

تحمل ﷺ هذه اللطمة التي لم يصب بمثلها ذهب إلى بيته وسلم على زوجه وهي مريضة في فراشها بعد السفر أصابتها حمة ولم تدر أنها متهمة وأن المنافقين قد ألصقوا بها أعظم فرية هي مريضة على الفراش سلم عليها ﷺ قالت عائشة ولم أرى منه ذاك الحنان و العطف الذي كنت أراه منه كلما مرضت قالت فاستأذنته لأمرض في بيت أبي في بيت خليفة الإسلام في بيت المجاهد الأول في بيت الرجل الأول بعد رسول الهدي ﷺ فأذن لها ﷺ قالت فأخذني النساء إلى بيت أبي وإذا بأبيها الآخر يعلم بالنبأ وينزل عليه كالصاعقة ويأتيه الخبر فيصاب ويبكي ويقول ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: ١٨] ويأتي الخبر أمها فتصاب في قلبها وتنتشر الفرية في المدينة وتسري سريان النار في الهشيم ويشارك كثير من الصحابة رسول الله في هذا المصاب فيحزنوا لحزنه ويتأثروا لتأثره

لأن أولى الموالي من تواليه

عند السرور كما ولاك في الحزن

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكـروا

من كـان يألفهم في الموطـن الخشن

قالت عائشة : ولم أعلم الخبر ولم أدر ما السر قالت : فلما شفيت من مرضي خرجت مع نساء في ضاحية من ضواحي المدينة وكان معنا امرأة اسمها (أم مسطح) صالحة من الصالحات وولدها صالح من الصالحين من أهل بدر لكنه وقع في هذه الريبة ونشر الخبر وساعد في نشر التهمة كما يفعل بعض الناس الآن فلما أصبحنا في الصحراء عثرت هذه المرأة الصالحة فقالت تعس (مسطح) والعرب تدعو على عدوها بالتعاسة إذا أصيبت قالت عائشة : فقلت لها : كيف تدعين على ابنك وهو من الصالحين من أهل بدر؟ قالت : إنك ما علمت ماذا قال وماذا فعل قالت عائشة وماذا قال قالت : اتهمك هو وأمثاله في عرضك وقالوا : إنك ارتكبت الفاحشة مع صفوان لا إله إلا الله قالت عائشة: فسقطت على وجهي مغشياً عليّ من البكاء رفعها النساء إلى فراشها في بيت أبيها وأما رسول الله فبقي شهراً كاملاً

لا ينزل عليه الوحي يتلمس متى يسمع النداء العلوي ليشفي غليله في هذه المشكلة ما عنده دلائل وما عنده براهين لا يعلم الغيب اضطربت عنده الأمور ﷺ يثق في زوجه لكنه بشر دخل ﷺ يستشير بعض أقاربه استشار علي رضي الله عنه قاضي قضاة الدنيا وهو منه بمنزلة هارون من موسى فقال علي : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسلها تصدقك فوالله ما عهدناها كاذبة

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً

فما اعتذارك من قول إذا قيلا

ذهب ﷺ بعده إلى (أسامة) إلى حبه وإلى ابن حبه إلى المولى الذي رفعه الإسلام فيعرض النبي ﷺ الأمر وعمر أسامة أربعة عشر سنة فيقول أسامة : وهو يعرف من هي عائشة - رضي الله عنها - يقول : يا رسول الله أهلك أهلك والله ما نعلم عنهم إلا خيراً والله إنها صوامة قوامة بارة رشيدة فاسأل جاريتها يا رسول الله فيذهب ﷺ إلى الجارية التي معها في البيت واسمها (بريرة) فتقول : والله يا رسول

الله ما علمت عن عائشة إلا خيراً أحمي سمعي وبصري إنها صوامة قوامة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً أعيبه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله – والداجن هي الشاة التي تربى في البيت – قام ﷺ على المنبر وشكى إلى الناس ما لقيه من المنافقين في عرضه ما لقيه من اتهامات جريئة في دعوته شكي من (عبد الله ابن أبي) رأس الضلالة وعمود الجهالة المريد التدمير لهذا الدين فكان مما قاله ﷺ: «ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت منهم إلا خيراً»[1] فقام الأوس والخزرج فكادوا يقتتلون على اختلاف بينهم في المسجد دفاعاً عن الرسول الله ﷺ هدأ ﷺ الأوضاع وعاد إلى عائشة في بيت أبيها ليجلس معها مجلس التحقيق والمحاكمة إما أن تعترف وتتوب إلى الله وإما أن تتبرأ من هذا وإما أن يعلن الله توبتها من فوق سبع سماوات جلس ﷺ قالت عائشة وما جلس بعدها إلا ذاك المجلس وجاء الفرج من مفرج الكروب ومنفث الهموم قالت: ومعي أبي وأمي ونساء يبكين معي يشاركنني مصيبتي

فلابد من شكوى إلى ذي قرابة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

قالت فجلس ﷺ ثم شهد أن لا إله إلا الله ثم حمد الله الذي بنوره تقوم السماوات والأرض ثم قال : يا عائشة إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممتي بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا أعترف ثم تاب تاب الله عليه تلعثمت من البكاء لا تستطيع الكلام تقول لأبيها : أجب عني رسول الله فيما قال فيبكي أبو بكر ويقول والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ وماذا يقول أبو بكر في اتهام كهذا ماذا يقول في فرية المغرضين من أعداء الإسلام قالت : فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله فتبكي أمها وتقول : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت : فاستجمعت قواي وجف الدمع من عيني وقلت إني والله قد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فلأن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولأن اعترفت لكم بأمر لم أعمله لتصدقنني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا (أبا يوسف) حين قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨]

قالت فاندفع أبي وأمي باكيين أما رسول الله فلم يتحرك مهموماً به من الهم ما به قالت فوالله ما غادر مكانه ﷺ حتى أتاه الوحي وكان إذا أتاه الوحي من السماء ثقل جسمه فاضطجع على فراشه وأخذ عرقه يتصبب من جبينه الطاهر فعرفنا أنه الوحي قالت فوالله ما فزعت أما أبي فكادت نفسه أن تخرج خوفاً أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس تحدر العرق بعد ما استفاق ﷺ كالجمان من على وجه فجعل يمسح العرق وهو يبتسم ويقول يا عائشة ابشري إن الله قد برأك من فوق سبع سماوات براءة من الله ولطف من الله ورحمة من الله يوم أن توصد الأبواب فلا يوجد إلا باب الله يوم أن تسدل الحجب فلا يأتي إلا عطف الله وحنان الله

فلرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

تهلل وجهها - رضى الله عنها - قال لها أبوها أبو بكر ﷺ -: يا عائشة قومي إلى رسول الله ﷺ فسلمي عليه واحمديه قالت : لا والله لا أقوم ولا أحمده ولا أحمدك ولا أحمد أمي وإنما أحمد الذي أنزل براءتي من فوق سبع سماوات لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه يدخل ﷺ بعدها المسجد منتصراً على أعداء الرسالة الذين ألصقوا به التهمة في عرضه وشرفه يجمع الناس ويقف على المنبر يتلو آيات الله البينات تنزل من على المنبر كأنها القذائف يسمعها المؤمن والمنافق والذكر والأنثى وتقرؤها الأمة إلى قيام الساعة لأن التهمة كانت فيه ﷺ وقبله وهي متصلة إلى قيام الساعة والواقع يشهد بذلك اسمعوا إلى الآيات التي نزلت قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١١-١٢]

إلى أن قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ [النور : ١٤-١٥]

بل تتجدد يوماً بعد يوم في صور ومخططات رهيبة مفزعة لكن العاقبة مع ذلك للمتقين والإسلام منتصر في كل مكان ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧]

ألا فليخسأ الذين يريدون هدم هذا الدين من الذين يلصقون التهم بدعاته وعلمائه العاملين. وإن نجحوا فالنجاح مؤقت والعاقبة للمتقين نسأل الذي بيده مقاليد الأمور أن يفضح من أراد علماء الإسلام من اليهود والمنافقين وأذنابهم على رؤوس الأشهاد اللهم افضحهم على رؤوس الأشهاد اللهم افضحهم على رؤوس الأشهاد اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك اللهم أرنا فيهم يوماً أسوداً تقر به أعين الموحدين الآمرين والناهين اللهم احفظ علماء الأمة بحفظك اللهم

احفظ علماء الأمة بحفظك اللهم احفظ علماء الأمة بحفظك واكلأهم برعايتك وسدد رميهم واجعل كلماتهم فوارق على كل من أراد بهم الخذلان وافضح أعداءهم على رؤوس الأشهاد اللهم واهدنا إلى الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم أقول ما تسمعون واستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

[عود على بدء]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد قال الله - عز وجل - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] عباد الله في حادثة الإفك دروس وعبر أيما عبر ذاك ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

[دروس حادثة الإفك]

من هذه الدروس أن طريق الدعوة والجهاد طريق محفوف بالمكارة كله عراقيل كله عقبات وقد لاقى الدعاة في سبيل الله في هذا الطريق مكارة عظيمة فما صدتهم وما رضتهم عن دعوتهم ها هو ﷺ يخرج من مكة من بين الأهل والجيران والأخوة والخلان حصيرا حزيناً كئيباً طريدا في تلك الفيافي والقفار ما معه من مظلة إلا لا إله إلا الله يصعد إلى أهل الطائف لأنه ما وجد هناك بيئة تتقبل لا إله إلا الله فيذهب إليهم فيسخروا به ويستهزئوا به فهذا هو طريق الدعوة وهذا هو المصطفي ﷺ لقي ما لقي من أذى في سبيل الدعوة إلى الله فطريق الدعوة هذا هو وإلى عهد قريب ليس في ذاك العهد وإنما إلى عهد قريب نرى (سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب) حفيد إمام الدعوة رحمة الله يصدح بدعوة الحق فيجعله أعداء الإسلام في فوهة المدفع ثم يطلقون به المدفع لتتطاير أشلاءه لتقول لكل الدعاة قدموا أنفسكم في سبيل الدعوة إلى الله فما نقموا منه إلا أن آمن بالله العزيز الحميد .

طريق الدعوة إلى الإسلام طريق تضحيات ومن يفزع من هذا الطريق فليس بداعية حق الدعوة. إن الحافظ الله إن الولي هو الله إن المسدد هو الله ها هو موسى ذلك الغلام الذي رآه فرعون في منامه ورأى هلاك ملكه على يديه قتل من قتل من أولاد بني إسرائيل ويربى هذا الطفل في بيت فرعون ويترعرع أمام عينيه لأن الله - عز وجل - حفظه ومن حفظه الله فلا خوف عليه وهذا والله درس عظيم للدعاة إلى الله إذ مهما علا الباطل وزمجر وارتفع هديره فإن الله سيجعله زبداً ويبقى ما ينفع الناس لا خوف فالله ناصر دينه شاء من شاء وأبى من أبى أما كيد البشر فكيد ضعيف مهما عظم ووالله لا تستطيع أي قوة في الأرض أن تصل إلى قلب مؤمن صادق في إيمانه ويقينه ما أجمل وأصدق ما قاله أحد الدعاة حين أوذي في ذات الله

تالله ما الدعـوات تـهـزم بالأذى
أبـداً وفـي التـاريـخ بـر يمينـي
ضع في يدي القيـد ألهب أذرعـي
بالسوط ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حصار فكري ساعة
أو رد إيماني وصد يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يد ربي
وربي حافظي ومعيني

لا حافظ إلا الله ولا معين إلا الله فنسأله أن يحفظ الدعاة إلى الله - عز وجل - ومن دروس هذه الحادثة أن المنتمين لهذا الدين بإخلاص وصدق معرضون للاتهام ولإشاعة الشائعات وإلصاق التهم بهم سمعتم كيف اتهم ﷺ في عرضه المفعول لكل من ترسم خطاه ومضى على منهجه ﷺ تجد كل تهمة تلصق بأهل هذا الدين بعلماء هذا الدين بدعاة هذا الدين تشاع عنهم الشائعات تلصق بهم التهم تلصق بعلماء الأمة شبابها الملتزم وبكل صالح في الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات : ٥٣]

وصف الدعاة بالرجعية والتأخر وصفوا بعدم مسايرة العصر وصفوا بالسذاجة والبساطة لكن هذه الألفاظ لن

تجدي فبدءوا الآن برمي الدعاة بالشذوذ الخلقي لتحطيم وتضليل قدوة الأمة في نظر أبنائها وهذه كلمات وهذه أفعال والله ما جاءتنا إلا من اليهودية الحاقدة صدرتها لنا إلى بلاد الإسلام فأخذها الذين أخذ الله سمعهم وأبصارهم وختم على قلوبهم زادوا عليها وزعوها في مجالس الناس صار الصالحون في أوساط الناس مصدر شبهة وأهل ريبة وبالتالي سيفقد علماء الإسلام ثقة الناس فيهم فيضل الناس عند ذاك يعمنا الله بعقاب من عنده وذاك مطلبهم ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة : ٣٠]

يأتي كل من في قلبه زغل ونفاق يتشفى بالصالحين وبالدعاة المخلصين ويقول : الشاذون ، كانوا يقولون المتشددين والآن أصبحوا يقولون الشاذين ونسأل أصحاب هذه الكلمات ما الشذوذ في نظرهم هل هو التمسك بحبل الله يوم أن انقطعت حبال الذين من دونه؟ هل الشذوذ هو الحرص على تطبيق السنة بالمسلك والآداب والتعامل يوم ضاعت تعاليم السنة بأشخاص كثير من الناس؟ هل الشذوذ في إحياء القلوب بكتاب الله وسنة محمدﷺ يوم أن أصبحت

مجانس الناس لنشر الشائعات وللسذاجة واللهو واللعب؟ هل الشذوذ أن يتروض الشباب في بساتين آيات الله يوم تروض غيره في مذابل الأغاني وفي مذابل البغايا والعاهرات؟ هل الشذوذ أن تدرس كتب السلف الصالح يوم شغل الكثير عن المصحف بالمجلة الخليعة وعن المسجد بالمقهى وعن السواك بالسيجارة وعن زيارة بيت الله الحرام بزيارة بلاد الكفار «كبانكوك» وأمثالها وما أدراكم ما تلك البلاد لا إله إلا الله؟ .

سبحانك هذا بهتان عظيم الشذوذ والانحراف في البعد عن منهج الله في الانسلاخ عن القيم والآداب في الانسلاخ عن الإسلام والقيم والآداب والأخلاق الشذوذ والانحراف في البعد عن كتاب الله الذي أنزله الله - عز وجل - وما خرجت والله مثل هذه التهم إلا يوم أن ابتعدنا عن الإسلام يوم أن تركنا الأمر والنهي أصبح البعض يمشي خجلاً أنه مطبق للسنة فتجرأ الرعديد وتجرأ الملحد وتجرأ المنافق ليطلق الشائعات وعن من؟ عن أنصار الدين وعلمائه عن حاملين راية محمد ﷺ ولكن نقول

إذا عيـر الطائـي بالبـخـل مـادر

وعيــر قســا بالفهــاهــة باقــل

وقال السهى للشمس أنت كثيفة

وقال الـدجى للبـدر وجهك حائل

فيــا مـوت زر إن الحيــاة دميمــة

ويـا نفس جـدي إن دهـرك هـازل

ومن هـذه الحادثة نستفيد أن دعاة الإسلام مستهدفون وعلى رأسهم قائدهم محمد ﷺ أشيعت عنه الشائعات وإشاعة الشائعات أمر عظيم ومرض خطير أيها المسلمون لكنها كثيرة وموجودة كثير من الناس ما يسمع كلمة صدقاً كانت أو كذباً إلا وأخبر بها فرية كانت أو حقيقة تمس مسلماً تمس أخاً أم غير أخ كأنه ما سمع قول المصطفى ﷺ كأنه ما تربى به «كفا بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[1] كفا بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع رب كلمة توجب لصاحبها

[1] أخرجه أبو داود (٤٩٩٢).

النار «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار سبعين خريفا»[1] ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦]

ومن الدروس أيضاً أن قذف المحصنات المؤمنات الغافلات كبيرة من الكبائر وموبقة من الموبقات استوجب صاحبها اللعنة من رب الأرض والسماوات وكذلك قذف المؤمنين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٣-٢٤]

ومن دروس حادثة الإفك ألا تشاع الفواحش فلا يتحدث بالجرائم التي تحدث في المجتمع في المجالس حتى ولو حدثت لأن التحدث بها يقلل من خطرها في قلوب الناس

---

١ - أخرجه الترمذي (٢٣١٤) .

أوما سمعتم قول الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور ١٩]

ومن الدروس ألا يقف المسلم في مواقف الريبة ولا في مواقف التهمة حتى ولو كان أطهر من ماء الغمام إن النفوس يشرع إليها الشك والقلوب تنتابها الأوهام وها هو ﷺ «يصلى العشاء في مسجده وتأتيه (صفية) زوجه تعوده وهو معتكف فلما قام يودعها مر به أنصاريان فقال لهما : على رسلكما هذه صفية بنت حيي»[1] يخبرهم ﷺ لئلا يجري الشيطان في دمائهم فيظنوا به سوءا ،فدع مواطن الشبهة والريبة يا عبد الله فذلك أصلح وأسلم وأتقى وأنقى .

ومن الدروس أن المؤمن مبتلى وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل أوذي صحابة رسول الله أذى عظيماً فصبروا واحتسبوا وأوذي من قبلهم فصبروا «كان يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق نصفين ثم

---

١ أخرجه البخاري (١٩٣٣) ومسلم (٢١٧٤) وغيرهما .

يمشط بأمشاط الحديد بين جلده وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه»[1] ﴿ الم ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١-٣]

عباد الله : علماؤنا زهرة الدنيا ونور الدنيا وهم حاملو ميراث الأنبياء والداعون إلى صراط الله العزيز الحميد عرف أعداء الإسلام ذلك فألصقوا به التهم ونشروا عنهم الشائعات وبعض السذج وخفاف الأحلام عن قصد وغير قصد يروج لهذه الشائعات لا إله إلا الله والله ما يريدون بتشويه العلماء سوى ضرب ميراث الأنبياء يريدون إطفاء نور الله .

فلتكن على وعي وإدراك أخي المسلم، المسلم كيس فطن المسلم لا يغتر المسلم بنور الله يمشي المسلم لا تنطلي عليه الشائعات المسلم يفرق بين السم والدسم .

---

١ - أخرجه بنحوه البخاري (٣٤١٦) وأبو داود (٢٦٤٩) وغيرهما عن خباب مرفوعاً .

اللهم انصر دينك وكتابك اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك اللهم انصر علماء أمة محمد ﷺ والصالحين من عبادك وأولياءك اللهم انصر علماء أمة محمد اللهم انصر الدين ومن نصر الدين اللهم انصر من نصر الدين اللهم انصر الدين ومن نصر الدين اللهم أخذل من خذل الدين اللهم أخذل من خذل الدين اللهم أخذل من خذل الدين اللهم من أرادنا والإسلام بسوء فاشغله بنفسه وأجعل تدبيره تدميره وأخذله ومزقه كل ممزق يا أكرم الأكرمين اللهم اكشف أستاره اللهم افضح أسراره اللهم اكشف أستاره اللهم افضح أسراره اللهم أخرس لسانه اللهم أذهب عقله اللهم دمر جنانه اللهم أرنا فيه عجائب قدرتك يا أكرم الأكرمين

اللهم انتقم لأوليائك اللهم انتقم لعلماء المسلمين اللهم انتقم لأحبابك ودعاتك وصالح عبادك اللهم ثبتنا على الحق اللهم من نصر الدين فمكنه في الأرض واجعله هادياً مهديا

اللهم من خذل الدين فأرنا فيه يوماً أسوداً كيوم فرعون وهامان وهارون نسألك يا ربي أن تحفظنا نسألك يا ربى أن تحمينا نسألك يا رب أن تهدينا سواء السبيل نسألك أن

تمنعنا من كل ما يدبر للمسلمين من كيد وسوء اللهم لا تدابير لدينا إلا تدبيرك ولا حيل لدينا ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل

اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا وتوفنا إذا كانت الحياة شرا لنا اللهم نسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا ونسألك لذة النظر إلى وجهك بغير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة

اللهم من أراد بعلمائنا سوءاً فعليك به .اللهم أهلكهم بدداً أحصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً اللهم آمنا في دورنا وأفرح أمتنا وولاة أمورنا واجعلنا من الذين نخافك ونتبع هداك وبرحمتك يا أرحم الراحمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فضيلة الشيخ / **علي عبد الخالق القرني**

❊ ❊ ❊ ❊

مكانة المرأة في الإسلام

صراع الدعاة مع المنافقين